مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 31، جوان 2022، ص - ص: 749 – 766
الترقيم الدولي: 4350-1112 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2406-2588

حركات الهجرة واللجوء بين دولة الخلافة والإمبراطورية البيزنطية حتى منتصف القرن الثامن ميلادي/القرن الثاني هجري

Movements of Immigration and Asylum between Caliphate and Byzantine Empire until mid-eighth Century

طالب الدكتوراه منصف مباركية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
hippone_cityboy@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/23 تاريخ القبول: 2022/02/22

الملخص:
رغم طبيعة العلاقات المتوتّرة والعدائية التي جمعت دولة الخلافة والإمبراطورية البيزنطية، كانت الدولتين تمثّلان ملاذا آمنا للعديد من العناصر المهاجرة بين الطرفين عبر الحدود، حيث شهدت الفترة منذ قيام الدولة الإسلامية حتّى سقوط الأسرة الأموية منتصف القرن الثامن ميلادي/القرن الثاني هجري العديد من حركات الهجرة واللجوء بين الدولتين بشكل فردي أو جماعي تخص سكّان أو رعايا أحد الطرفين، وكانت دوافع هذه الظاهرة متعدّدة وفي الكثير من الأحيان متشابكة، وشملت بشكل عام الجوانب الشخصية والسياسية والدينية، وقد حظيت العناصر اللاجئة بين المسلمين والروم عموما باستقبال حسن حيث كان يتمّ معاملتها باحترام ويتمّ توفير كلّ مقوّمات الاستقرار لها من أجل تسهيل عملية إدماجها في الحياة العامة للمجتمع الجديد، وإذا كانت حركات الهجرة واللجوء تنتهي في معظم الحالات باستقرار نهائي لأصحابها في البلد الجديد، فإنّ حالات أخرى سجّلت عودة العناصر اللاجئة إلى بلدها الأصلي بعد الوصول إلى تسويات مرضية مع السلطة الحاكمة فيها.
الكلمات المفتاحية: الهجرة واللجوء؛ المسلمون؛ البيزنطيون؛ الخلافة؛ بلاد الروم.

Abstract:

Despite the hostile relations that brought together the Caliphate State and the Byzantine Empire, the two countries represented a safe haven for many immigrant elements between the two parties, This paper examines the migration and asylum between the two states during the period from the establishment of the Islamic State until the fall of the Umayyad dynasty in the mid-eighth century. The motives of this phenomenon were multiple and in many cases intertwined and included in general the personal, political and religious raisons. The refugee elements among Muslims and the Byzantines were well received as they were treated with respect in aims to facilitate their integration into the new society, In general the movements of immigration and asylum end in most cases with the permanent residence in the new country, but other cases recorded the return of the refugee elements to their home country after reaching satisfactory arrangement with the authorities.
Key words: Immigration and Asylum; Muslims; Byzantines; Caliphate; Byzantine Empire.

مقدّمة:

اصطبغت العلاقات بين دولة الخلافة والإمبراطورية البيزنطية منذ بداية الاحتكاك بينهما بالطابع العدائي حتّى أنّ المؤرخ هاملتون جب Hamilton Gibb يقول في ذلك: «لو أن طلبة تاريخ العصور الوسطى رأوا في ((العلاقات العربية البيزنطية)) سجلا لا يكاد يتعدى أخبار الحروب المتواصلة لكانوا في ذلك معذورين، وهذا السجل على هذا النحو لا يخالف الحقيقة، لأن الحروب عند الثغور استمرت دون انقطاع تقريبا طوال قرون»[1]، لكنّ التفاعل بين الطرفين لم يبق مع ذلك حبيس المواجهات العسكرية وإنّما تعدّاه ليشمل العديد من المجالات الأخرى، ومنها الجانب الاجتماعي الذي رغم ما يمثّله من أهمية نظرا لحالة العداوة التي كانت بين دولة الخلافة والإمبراطورية البيزنطية إلّا أنّه لم يحظ بالاهتمام الكافي في الدراسات المهتمّة بالعلاقات بين المسلمين والروم خلال الفترة المبكّرة من بداية الاحتكاك بين الطرفين منذ انطلاق موجة الفتوح الكبرى في الشام حتى سقوط الدولة الأموية، رغم أنّ هذا الجانب كان يحتلّ مكانة مهمة من التفاعل بين الطرفين خارج الصدامات العسكرية والعداوة السياسية، وهذا المقال يسعى لمعالجة جانب محدد من هذا التفاعل من خلال تسليط الضوء على ظاهرة الهجرة واللجوء بين الطرفين حتى سقوط الدولة الأموية منتصف القرن الثامن ميلادي (132هـ)، حيث تشمل الدراسة عمليات النزوح بين البلدين للجماعات والأفراد الذين كانوا يعدّون من رعايا احدى الدولتين بغض النظر عن العرق أو حتّى الدين، وتدور إشكالية الموضوع على هذا الأساس حول حالات الانتقال عبر الحدود بين الطرفين والدوافع المتحكّمة فيها وطبيعة الحياة التي كان يختبرها المهاجرون واللاجئون في مناطق استقرارهم الجديدة؟ ونهدف من وراء هذا العمل إلى رصد وإبراز حركات انتقال السكان بين الفضاء الجغرافي لدولة الخلافة والإمبراطورية البيزنطية في إطار الهجرة واللجوء على امتداد قرن ونيف من الزمن منذ العهد الراشدي حتى سقوط الدولة الأموية، وما يرتبط بهذه الحركية السكانية من تفاعلات، وكيفية تعامل الدولتين مع هذه الظاهرة، بالإضافة إلى محاولة تغيير الصورة النمطية عن طبيعة التفاعل بين رعايا كل طرف مع الخصم الرئيسي لدولتهم، ومحاولة استكمال دراسة جوانب أخرى من العلاقات بين المسلمين والروم لم تحظ بالاهتمام الكافي.

من أجل معالجة الإشكالية المطروحة والوصول إلى الأهداف المرجوّة تمّ جمع الروايات التاريخية ذات الصلة بالموضوع من مختلف المصادر المتوفّرة في الفضاءين العربي والبيزنطي بهدف تحقيق رؤية شاملة ومتوازنة للظاهرة، ومن ثمّ العمل على تحليل هذه الروايات ومقاربتها ومحاولة التوفيق بينها من أجل إخراج دراسة موضوعية متكاملة.

الهجرة عبر الحدود:

عرفت منطقة الحدود بين الطرفين حركات انتقال ونزوح عديدة لرعايا الدولتين تحت ظروف مختلفة، واتخذت في بعض الحالات عمليّات انتقال كبرى بشكل جماعي في حين اتخذت في حالات أخرى الصفة الفردية.

بدأت عمليات اللجوء الجماعي لرعايا الإمبراطورية البيزنطية داخل حدود الدولة الإسلامية في وقت مبكّر نسبيا من سيطرة المسلمين على الشام، وطيلة الفترة من إتمام سيطرة المسلمين على ممتلكات بيزنطة في الشرق حتّى سقوط الدولة الأموية بين 17-132هـ/638-750م تسجّل المصادر أربع عمليّات نزوح كبرى لسكان من آسيا الصغرى إلى بلاد الإسلام.

أولى هذه العمليّات حدثت في السنوات الأولى لقيام الدولة الأموية وبالتحديد سنة 45هـ (665م) عندما انضمّ خمسة آلاف شخص من السلاف (الذين تطلق عليهم المصادر العربية اسم الصقالبة) إلى عبد الرحمن بن خالد المخزومي الذي كان يقود حملة ضدّ بلاد الروم تلك السنة، فعاد بهم إلى الشام أين تمّ توطينهم في

Seleukobolos بمنطقة أفامية Apameia شمال غرب حماة في سوريا [2]، وليس واضحا في أيّ منطقة من آسيا الصغرى صادف عبد الرحمن هؤلاء السلاف أو الظروف التّي اجتمع فيها بهم وأفضت إلى التحاقهم بالمسلمين هناك، فالمصادر لا تسعفنا بشيء في هذا الأمر، لكنّنا مع ذلك نعرف أنّهم على الأرجح كانوا من العناصر التّي أسرها الإمبراطور قنسطانز الثاني Constans II في حملته على تسالونيكا في البلقان سنة 658م (37-38هـ) ثمّ قام بنقلهم إلى آسيا الصغرى لتوطينهم هناك[3].

أمّا الحالة الثانية، فنملك عنها معلومات أكثر وتفاصيلا أدقّ وحدثت بعد أوّل انتقال للسلاف إلى الدولة الإسلامية بثلاثين سنة تقريبا، لكن هذه المرّة انضمّ عدد أكبر منهم إلى صفوف المسلمين بعد معركة سيباستوبوليس Sebastopolis عند الحدود الأرمينية سنة 692م (73هـ)، حيث قرّر عشرون ألفا من السلاف (أو سبعة آلاف حسب رواية المؤرخ ميخائيل السرياني) بقيادة شخص يدعى نبولوس Neboulos - بعد اتفاق بينه وبين قائد المسلمين محمد ابن مروان - الانفصال عن الجيش البيزنطي والانحياز إلى جيش الخلافة مقابل امتيازات وإغراءات كبيرة [4]، ويترتّب عن هذه الرواية، التي لا نشكّ في صحّتها بغض النظر عن بعض تفاصيلها والأرقام التي تقدّمها، يترتّب عنها تساؤلات كثيرة عن حقيقة إدراك المسلمين لوضعية وأحوال السلاف في الإمبراطورية والجيش البيزنطي؟ واستغلالهم لهذا الأمر، وعن كيفية ربط الاتصال بهم من أجل استمالتهم؟ على كلّ حال كان هؤلاء السلاف قد جلبهم الإمبراطور جستنيان الثاني Justinian II من البلقان أيضا قبل هذه المعركة بفترة قصيرة جدا حوالي سنة 688م (69-70هـ) فقط، وقام بتوطينهم في كيزيكوس Kyzikos بمنطقة بيثينيا من أجل إعادة إعمارها أين تمّ منحهم أراض زراعية هناك[5]، ما يوحي أنّهم كانوا على الأرجح يحترفون هذا النشاط في مناطق استقرارهم بالبلقان، وبعد التحاقهم بأرض الخلافة تمّ توطينهم في منطقة الثغور من أجل الاستفادة منهم من الناحيتين الاقتصادية والدفاعية.

وفي أواخر القرن الأوّل هجري استقبلت الدولة الإسلامية دفعة جديدة من الوافدين المسيحيين لكن هذه المرة من الأرمن سنة 713م (95-96هـ) بعدما طردهم الإمبراطور فيليبيكوس Philippicos من بلاده على خلفية الخلافات الدينية بين الطرفين حيث تمّ توطينهم في ملطية وأرمينية الرابعة ما أتاح للمسلمين كسب حلفاء جدد على الحدود في مواجهة البيزنطيين [6]، والحقيقة أنّ الأرمن كان لديهم حضور سابق معتبر في هذه المنطقة ولم تكن هجرتهم إليها مستجدّة، حيث عرفت ملطية قبل هذا التاريخ توافد مجموعات من هؤلاء العناصر للاستقرار في المدينة منذ هجرها المسلمون خلال فتنة ابن الزبير[7].

وبعد ذلك بسنوات قليلة فقط توافدت مجموعة أخرى من رعايا الدولة البيزنطية إلى بلاد الإسلام لكن هذه المرة من اليهود على الأرجح، على خلفية الاضطهاد الديني الذي تعرضت له الفرق التي لا تتبع المذهبي الرسمي للدولة، حيث قام الإمبراطور ليو الثالث Leo III سنة 722م (103-104هـ) بإجبار اليهود وأحد الطوائف المسيحية (المونتانيين Montanists) على قبول التعميد وفق طقوس الكنيسة البيزنطية[8]، ويذكر المؤرخ ميخائيل السرياني أنّ هذا الاجراء التعسفي ضدّ الطوائف الأخرى من طرف الإمبراطور البيزنطي أدّى إلى هروب عدد منهم إلى دولة الخلافة[9] دون أن يحدّد هويتهم للأسف، لكن إشارة ثيوفانس إلى أنّ اليهود خضعوا للتعميد ضدّ إرادتهم وأنّ المونتانيين قاموا لاحقا بإحراق أنفسهم داخل كنائسهم[10]، يجعلنا نفترض أنّ من انتقل إلى الخلافة هم من اليهود تحديدا بما أنّ المسيحيين قد قتلوا أنفسهم، ولا نملك أيّ معلومة حول عدد هؤلاء الوافدين الجدد أو المناطق التي تمّ توطينهم فيها لكن التجارب السابقة حول تعامل المسلمين مع اللاجئين من الفضاء البيزنطي تجعلنا نعتقد أنّه قد جرى إنزالهم في منطقة الثغور أيضا كما المجموعات التي سبقتهم، كما نعتقد أنّ هذه الهجرة قد حدثت بتأثير من تجربة الأرمن مع الخلافة قبل ذلك بسنوات قليلة حيث أنّ استقبال

المسلمين لهؤلاء المسيحيين والتسامح الديني الذي أظهروه تجاههم قد شجّع اليهود على الانتقال بدورهم إلى خصوم البيزنطيين الأكثر انفتاحا وتقبلا للديانات والطوائف الأخرى.

وبجانب عمليّات اللجوء الجماعية كان هناك العديد من الحالات الفردية أو التي تضمّ أعدادا محدودة من الأشخاص، والذين عادة كانوا يحتلون مراكز مهمّة في الهيكل الإداري والعسكري داخل الإمبراطورية قبل الانشقاق والالتحاق بالمسلمين مثل حالة جناديوس Gennadius الذي كان مسؤولا عن أرخونية إفريقيا قبل أن يلجأ إلى العرب بعد تحييده من منصبه إثر تمرد قام به الجنود[11] فاتصل بمعاوية في دمشق وأطلعه بالوضع القائم في إفريقية مقترحا عليه إرسال جيش لغزوها بالتعاون معه، فبعث به الخليفة مع عشرة آلاف رجل تحت قيادة معاوية بن حديج سنة 45هـ (665م)[12]، لكنّ القائد البيزنطي المتمرّد لم يوفّق في مواصلة مشاريعه المشتركة مع المسلمين حيث توفي في الإسكندرية قبل أن تصل الحملة إلى هدفها[13].

ونسجّل أيضا حالة أخرى تخصّ أحد النبلاء البيزنطيين الذي هرب إلى الشام مع عدد كبير من أنصاره على خلفية تجاوزات ارتكبها في بلاده[14] أين اتصل بعبد الملك بن مروان لترتيب عملية انتقاله للإقامة ببلاد الشام، حيث وافق الخليفة على طلبه للاستقرار بمدينة طرابلس مقابل أداء الخراج[15]، وقد كان هذا الأمر سوء تقدير خطير من عبد الملك بن مروان حين سمح له بالاستقرار في المدينة التي كانت حتّى ذلك الوقت غير مأهولة بالمسلمين وموقعها على الساحل يتيح لها الاتصال بسهولة مع بلاد الروم، وبالفعل فبعد حوالي سنتين من الإقامة بالمدينة قام القائد البيزنطي بالانقلاب على المسلمين وسيطر على طرابلس مستغلا انسحاب القوّات التي كانت مرابطة هناك بعد نهاية فترة خدمتها، فقتل عاملها وأسر سكانها من اليهود ثم رجع إلى بلاد الروم، لكنّ المسلمين استطاعوا بعد ذلك أن يأسروه في احدى المواجهات البحرية مع البيزنطيين وأتوا به عبد الملك بن مروان فأمر بقتله[16].

إنّ استقبال المسلمين لدفعات عديدة من سكّان ورعايا الإمبراطورية البيزنطية قد ساهم في تعزيز الوضع الديمغرافي في مناطق الثغور بعناصر جديدة من خارج الفضاء الجغرافي للدولة الإسلامية، وهذا بدوره قد أدّى بشكل مؤكّد ليس فقط إلى تنويع التركيبة الاجتماعية للدولة الأموية، وإنما أيضا إلى تفاعل حضاري بين مختلف هذه العناصر مع غيرهم من سكان الدولة الإسلامية، حيث يبدو من المنطقي جدا أنّ هؤلاء السلاف والأرمن واليهود قد أدخلوا معهم بعض موروثهم الثقافي والحضاري إلى المجتمع الأموي خاصة في منطقة الثغور.

وعن الجانب الإسلامي لا نسجّل إلّا عملية هجرة جماعية واحدة لرعايا الخلافة نحو الأراضي البيزنطية حدثت مباشرة بعد السنوات الأولى لفتح المسلمين الشام، وتخصّ ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم مع حوالي ثلاثين ألفا من أنصاره، وتصادفنا في هذه الحادثة إشكالية تتعلّق بقضية إسلام جبلة، حيث تتضارب الروايات حول هذه المسألة فمنها من يذكر أنّه أسلم ثمّ ارتدّ ودخل بلاد الروم على إثر شجار جمعه برجل مسلم من مزينة فأراد عمر بن الخطاب أن يقيم عليه الحد، ومنها من ينفي اعتناقه الإسلام وأنّه فضّل البقاء على نصرانيته على أن يدفع الصدقة بدل الجزية لكن الخليفة رفض ذلك فلجأ إلى بلاد الروم[17]، لكن الثابت أنّ جبلة بن الأيهم سواء أسلم أو بقي مسيحيا كان يُعدّ من رعايا الدولة الإسلامية ذلك الوقت، وأنّ الخلاف مع عمر بن الخطاب والإهانة التي شعر بها هما اللذان دفعاه للانتقال من الشام إلى بلاد الروم أين اتصل هناك بالإمبراطور هرقل الذي أظهر له احتراما كبيرا فأكرمه وقرّبه فجعله من خاصة حاشيته، فبقي هناك حتّى وفاته سنة 53هـ (673م) حسب ما ترويه المصادر[18].

وكان الانتقال بصفة فردية أو بأعداد محدودة للاستقرار داخل بلاد الروم أكثر شيوعا، ونملك بعض الأخبار عن تجارب خاضها مسلمون أو مسيحيون من رعايا الدولة الإسلامية في هذه الفترة، ومن أبرز

الأمثلة عن التجاء المسلمين بالبيزنطيين نجد حالة فريدة وثّقتها المصادر في فترة مبكّرة من تأسيس الدولة الإسلامية وتتعلّق بأحد الصحابة من قريش يدعى ربيعة بن أمية الذي هرب في خلافة عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام ومنها إلى بلاد الروم فتحوّل إلى المسيحية واستقرّ هناك حتّى وفاته بسبب قيام الخليفة بجلده ونفيه إلى خيبر عقابا له على شرب الخمر[19]، ولا نعلم بالتحديد تاريخ هذه الحادثة وفي أي منطقة استقر هذا القرشي ببلاد الروم، لكن إشارة المصادر أنّه التحق بهرقل (قيصر) ومات عنده تجعل من المنطقي أنّ تاريخ التجاءه إلى البيزنطيين كان قبل وفاة الإمبراطور البيزنطي سنة 641م (20هـ)[20] بالضرورة، كما توحي الرواية أيضا أنّه استقر بالقسطنطينية على الأرجح وأنّ مدّة اقامته هناك كانت قصيرة.

ونسجّل في المصادر حادثة مشابهة وقعت في وقت لاحق أواخر القرن الأوّل هجري في خلافة الوليد بن عبد الملك حول شخص قرشي أيضا من سكان المدينة يدعى الصلت بن العاص التحق ببلاد الروم عبر نصيبين فتحوّل إلى النصرانية واستقر هناك حتّى وفاته بعد أن أقام عليه عمر بن عبد العزيز الحد بسبب شربه الخمر[21]، ولا نعلم أيضا بشكل دقيق تاريخ هذه الواقعة لكن حدوثها خلال ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة يؤكّد أنّها كانت في الفترة بين 87-93هـ (706-712م)[22].

وهناك أيضا حالة الجحّاف بن حُكيم السُّلمي الذي ارتكب تجاوزات خطيرة في خلافة عبد الملك بن مروان كادت أن تحيي الحروب القبلية في منطقة الجزيرة من جديد عندما أغار على قبيلة بني تغلب النصرانية فقتل منهم أعدادا كثيرة ونكّل بهم ثمّ هرب مع بعض أصحابه إلى بلاد الروم، أين استقبله البيزنطيون بحماس كبير وسمحوا له بالاستقرار في بلادهم فعاش هناك لفترة متنقلا بين طرابزندة (طرابيزون)، وكمخ، وقاليقلا، وقد حظي أثناء إقامته ببلاد الروم بمعاملة جيّدة من طرف البيزنطيين الذين عرضوا عليه الدخول في النصرانية مقابل امتيازات كبيرة، ورغم أنّه رفض هذا العرض مفضّلا البقاء على دينه إلّا أنّه لم يتردد في الاشتراك مع الجند البيزنطي في مواجهة قوّات المسلمين المضطلعة بحملات الصوائف حتّى أنّه ألحق بهم خسائر معتبرة [23].

ومن الحالات الشائعة لهروب الأفراد إلى بلاد الروم نجد فئة العبيد الذين كانوا يجدون في بيزنطة ملاذا لهم للتخلّص من أسيادهم في بلاد الإسلام، ومن العينات التي حفظتها لنا المصادر قصّة أحد موالي أم البنين من بني أمية يكنى "البريدي"، وإن كنّا نجهل أصله أو حتّى أسباب وملابسات هروبه إلّا أّننا نعرف بعض تفاصيل أخباره في بلاد الروم، حيث يبدو أنّه استقر في ناحية بافلاجونيا (أفلاجونية في المصادر العربية) في الشمال والتحق بالقوّات البيزنطية هناك، ويبدو أيضا من خلال الأحداث التي ترويها المصادر أنّه كان يتمتّع بمقدرات قتالية معتبرة يمكن تبيّنها من خلال مجريات احدى المعارك التي خاضها بجانب البيزنطيين في مواجهة قوّات المسلمين التي كانت تقوم بحملة الصائفة سنة 115هـ (733م) حيث استطاع أن يُلحق بهم خسائر معتبرة إذ قتل خمسة من المسلمين في مبارزات فردية واحدا تلو الآخر حتّى تصدّى له أخيرا عبد الله البطّال قائد الجيش فقتله[24].

أمّا فيما يتعلّق بالمسيحيين رعايا الخلافة، فنملك على الأقل ثلاثة حوادث مؤكّدة كان لها انعكاسات مؤثّرة على الأحداث والمواجهات بين المسلمين والروم، تتعلّق الحالة الأولى بشخصين من سكان طرابلس كانا شاهدين على تحضيرات كبيرة قام بها والي الشام معاوية بن أبي سفيان بالمدينة لغزو القسطنطينية سنة 34هـ (654-655م)، وعلى الرغم من أنّهما كانا في خدمة المسلمين حسب ما يذكر المنبجي إلّا أنّ ذلك لم يمنعهما من إظهار ولائهما للمسيحية حيث قاما تحت تأثير الحميّة الدينية باقتحام سجن المدينة وتحرير الأسرى البيزنطيين الذين كانوا موجودين فيه ثمّ قتلوا عامل المدينة مع المسلمين الذين كانوا بها وأحرقوا السفن والتجهيزات التي تمّ تجميعها من أجل الحملة المزمع تنفيذها ضد العاصمة البيزنطية، وبعد ذلك ركبوا البحر

والتحقوا ببلاد الروم[25]، أمّا الحالة الثانية فتتعلّق بأحد المهندسين من بعلبك Helioupolis في لبنان يدعى كالينيكوس Kallinikos الذي التحق بالقسطنطينية في الفترة التي كانت تحت حصار المسلمين الذي دام سبع سنوات كاملة، وهناك صنع للبيزنطيين سلاحا فتّاكا يتمثّل في نوع من النار استعملت لإحراق سفن المسلمين[26]، ونجد ما يدعم هذه الرواية حتّى في المصادر الإسلامية حيث يذكر ابن عساكر أنّ هذا الشخص الذي يحدّد بدقة أنّه "رومي"، قد اتصل بمعاوية قبل ذلك وعرض عليه هذا الاختراع لاستخدامه ضدّ سفن الروم في البحر لكنّ الخليفة رفض اقتراحه بسبب موانع دينية على ما يبدو حيث أجابه: "لا أكون أوّل من حرّق بها، وعذّب بعذاب الله"، فهرب (الرومي) إلى الملك البيزنطي الذي قبل عرضه فصنعها لهم وكانت سببا في إلحاق خسائر كبيرة بالأسطول الإسلامي والمسلمين[27]، وليس معلوما بالضبط السنة التي التحق فيها كالينيكوس بالقسطنطينية، فثيوفانس المصدر الرئيسي لهذه الفترة يوحي حديثه في معرض سرده لهذه الحادثة أنّه التحق بالروم في آخر سنوات الحصار، أي حوالي سنة 678م (59هـ) إذا كانت بدايته سنة 671م (51هـ)، في حين أنّ هيم H. Hime الذي يؤرّخ الحصار بين سنوات 674-676م (54-56هـ) يحدّد سنة وصول كالينيكوس إلى القسطنطينية بعام 673م (53هـ) [28]، أي قبل بداية الحصار بسنة، وفي حين لا يمكن الجزم بصحة أيّ من التاريخين إلّا أنّ السنة التي يحدّدها هيم تبدو مبكّرة نوعا ما فنحن نعلم من خلال الرواية العربية لهذه الحادثة أنّ كالينيكوس كان يعرف ويمتلك بالفعل تركيبة هذا السلاح (النار الإغريقية) عند الاتصال بمعاوية وبالتالي لم يكن بحاجة إلى وقت كبير من أجل تطويره ومن المنطقي أنّه كان سيضع سلاحه هذا قيد الاستخدام مباشرة بعد التحاقه بالبيزنطيين، وهذا السلاح يرجّح أغلب الباحثين أنه وظّف لأول مرة ضدّ البحرية الإسلامية في السنة الأخيرة من الحصار وكان السبب المباشر في هزيمة وانسحاب المسلمين وذلك إما سنة 677م (57هـ)[29] أو سنة 678م (58هـ)[30] حسب رأي كل باحث في مدة الحصار وسنة نهايته، لكن منطقيا يبدو من شبه المؤكّد أنّ كالينيكوس لم يلتحق بالقسطنطينية على الأرجح إلا بعد سنة 675م (55هـ) كأقلّ تقدير.

أمّا الحادثة الثالثة، فتتعلّق بمجموعة من البحّارة المصريين في الأسطول الإسلامي أثناء أحداث حصار مسلمة بن عبد الملك للقسطنطينية أواخر القرن الأول هجري، حيث قرروا بعد فترة قصيرة من وصولهم إلى بحر مرمرة، وعقب مشاورات فيما بينهم، الالتحاق بالبيزنطيين أين قاموا بالتسلّل ليلا عبر قوارب النقل في الأسطول إلى العاصمة وهناك قدّموا للإمبراطور معلومات حسّاسة عن قوّات المسلمين ووضعيتهم وأطلعوه على مكان اختباء الأساطيل الإسلامية في خليج نيقوميديا، وهذه المعلومات القيّمة ساهمت بشكل فعّال في التأثير على مجريات الصراع بين المسلمين والروم وكانت سببا في الحاق خسائر فادحة بالبحرية الإسلامية بعد أن أرسل الإمبراطور تشكيلة من السفن قاذفات اللهب إلى المنطقة التي حدّدها البحارة المصريون فأغرقوا سفن المسلمين واستولوا على تجهيزاتهم مع الكثير من الغنائم الأخرى[31].

في ختام هذا العنصر أودّ الإشارة إلى رواية مثيرة للاهتمام عن حالة غير مسبوقة في العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين، تتعلّق بشخصية بارزة في الحياة العامة للمجتمع والدولة الأموية هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني مروان الذي تذكر المصادر أنّه فكّر في الالتجاء إلى بلاد الروم بعد تضعضع موقفه العسكري والسياسي أمام الثورة العباسية إثر الهزيمة التي تعرّض لها في معركة الزاب الشهيرة في مواجهة عبد الله بن علي سنة 132هـ (750م) حيث قرر أن يكاتب الإمبراطور البيزنطي ويعقد معه اتفاقا على أن ينزل بإحدى مدن الروم يتخذها مقرا له حتّى يجتمع إليه أنصاره ومواليه فيعيد تنظيم جيشه في ظروف أحسن[32]، ربّما تبدو هذه القصة للوهلة الأولى غير قابلة للتصديق بسبب الاختلاف الديني أساسا وأيضا بحكم مركز مروان بن محمد السياسي كخليفة للمسلمين وردّ الفعل السلبي الذي سيواجهه من الأمّة في حالة احتماءه بعدوها الأكبر

(الروم) حتّى أنّ أحد مرافقيه، لكن بدافع من الحميّة العصبية ضدّ القيسية وليس بدافع النصيحة، سعى في إثناءه عن هذه الخطوة قائلا: «أعيذك بالله أن يحكم فيك أهل الشرك وتمّلكهم أمرك»[33]، لكنّ الظروف التي كان يواجهها مروان بن محمد في ذلك الوقت لم تترك له مجالا واسعا للمناورة وحدّت كثيرا من الخيارات المتاحة أمامه حيث أنّ استفحال الثورة العباسية ونجاحها في السيطرة على القسم الشرقي من الخلافة، واضطراب أحوال الدولة الأموية في ذلك الوقت مع عدم استقرار الشام الذي كان دائما يمثل مركز الدولة وصمّام الأمان فيها خلال فترات الفتن، يجعل من التفكير في اللجوء المؤقّت إلى بلاد الروم خيارا منطقيا وخطوة مقبولة على الأقل من الناحية الاستراتيجية بغض النظر عن الاعتبارات الدينية أو السياسية، إنّ هذه الحادثة إن صحّت تعتبر سابقة في تاريخ العلاقات العربية البيزنطية حيث لم يُقدم على التفكير في هذا الأمر أيّ شخص من المسلمين بهذا المستوى من قبل.

أمّا فيما يتعلق بالدوافع الكامنة وراء استقبال كل دولة باستمرار لرعايا منافستها فهي متعدّدة، وربّما يأتي على رأسها العامل السياسي حيث كانت تجمع الطرفين عداوة شديدة دفعت باستغلال كل فرصة يمكن أن تلحق الضرر السياسي بالخصم خاصة أنّ احتضان الجماعات الساخطة أو المعارضة يمكن أن تمنح الجهة المستقبلة ورقة مساومة وضغط في مواجهة منافسها، وكان احتضان مجموعات من العناصر السكانية لبعضهما البعض يمثّل أيضا نوعا من السياسات المناوئة خارج المواجهات التقليدية في الميدان العسكري، كما يعبّر عن تحدّ واضح للخصم ويهدف لإغاظته، ولا نهمل أيضا العوامل الاقتصادية والعسكرية حيث كانت كلا الدولتين تحتاجان بشكل متزايد لقوة بشرية كبيرة وعناصر نشيطة لتعمير وتأمين المناطق الحدودية أو تلك التي تعاني من تركز ضعيف للسكان، وقد كانت الجماعات المنتقلة عبر الحدود بين الطرفين تلبّي جزئيا هذه الحاجة.

دوافع الهجرة واللجوء:

تتباين دوافع الجماعات والأفراد للهجرة واللجوء إلى أحد البلدين حسب حالة كل واقعة، ونجد في بعض الحالات أنّ الدوافع تكون متعدّدة ومتشابكة، وعلى العموم يمكن تحديد الدوافع الأساسية في الجوانب الشخصية والسياسية والدينية التي سنقوم باستعراضها تفصيلا في هذا العنصر.

الدوافع الشخصية:

نجد هذا النوع من الدوافع بشكل خاص حاضرا بقوّة في معظم حالات اللجوء والهجرة كما يظهر أنّه قاسم مشترك بين العديد من الحالات الفردية لعمليات الانتقال إلى الطرف الآخر، وهذه الدوافع متعدّدة حيث كان تجاوز القانون والمخالفات التي يرتكبها الفرد في موطنه مثل عمليات القتل أو تجاوز الضوابط الدينية والخوف أو رفض الخضوع للعقوبات المترتّبة عن أفعالهم، والتي تستوجب عقوبات شديدة تصل في بعض الحالات إلى الإعدام، من الأسباب الرئيسية التي تدفع أصحابها إلى الهرب من أجل تفادي العقاب الذي ينتظره، أو كرد فعل على تطبيق الأحكام الشرعية عليهم، وهذا ما نلاحظه في حالة كل من جبلة بن الأيهم، وربيعة بن أمية، والصلت بن العاص، والجحّاف بن حُكيم السُّلمي عن الجانب الإسلامي مثلا، حيث تفيد المصادر ضمنيا أنّ السبب الذي دفع جبلة بن الأيهم إلى الارتداد عن الإسلام والالتحاق ببلاد الروم هو مزيج من الشعور بالإهانة والاستنكار لعزم عمر بن الخطاب إقامة القصاص عليه بعد اعتداءه بالضرب على رجل مسلم إذا لم يقم بإرضائه، حيث استنكف جبلة أن يتمّ معاملته على قدم المساواة مع رجل من العامة بحكم انتماءه ومكانته في قومه، حيث خاطب الخليفة قائلا: «وكيف وأنا ملك وهو سوقة؟» ثم عبّر عن خيبة أمله من موقف عمر بن الخطاب قائلا: «والله لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن سأكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية»[34]، ومع إدراكه لصعوبة الموقف الذي كان عليه بسبب إصرار الخليفة على تطبيق الشرع دون تحيّز أو تمييز قرّر جبلة

الانتقال مع أنصاره إلى القسطنطينية تجنّبا لإقامة الحد عليه الذي اعتبره إهانة وانتقاصا من قيمته ومكانته ما يدل على عدم اقتناعه بالإسلام ومبادئ العدل والمساواة التي جاء بها.

أمّا حالة ربيعة بن أمية والصلت بن العاص فلا تختلفان كثيرا عن تجربة جبلة بن الأيهم ولو أنّهما لم يستطيعا تجنّب إقامة الحد عليهما كما فعل هذا الأخير، ولا تخفي المصادر هنا فيما يخص ربيعة بالذات أنّ سبب التحاقه ببلاد الروم وتنصّره هناك راجع إلى الغضب الذي اعتراه بعد إقدام الخليفة عمر بن الخطاب على جلده بسبب تعاطيه الخمر[35]، في حين تنفي مصادر أخرى حدوث عملية الجلد وتذكر أن سبب هروبه هو خوفه من إقامة الحد عليه بعد شربه الخمر[36] التي تحرمها الشريعة الإسلامية على كل حال. وهو نفس التفسير الذي تقدّمه المصادر فيما يخص حالة الصلت أيضا حيث تُرجع سبب التجاءه للبيزنطيين وتحوّله للمسيحية إلى غضبه من عمر بن عبد العزيز الذي قام بتطبيق الحدّ عليه[37].

وفيما يتعلّق بحالة الجحّاف فالمسألة كانت أكثر خطورة حيث أنّ الجرائم التي ارتكبها في حق قبيلة بني تغلب بدافع الثأر كادت أن تؤدي إلى اذكاء النعرات القبلية من جديد، وشكلت تهديدا جدّيا للانسجام والاستقرار المجتمعي للخلافة التي عانت أصلا قبل سنوات من هذه الحادثة من حساسيات عصبية أدّت إلى معارك قبلية خطيرة بين المجموعة القيسية والمجموعة اليمنية في منطقة الجزيرة[38]، وما أقدم عليه الجحّاف من تجاوزات كان يستوجب عقوبة شديدة في حقّه تصل إلى الإعدام، وهكذا يظهر أنّ الخوف من القصاص وانتقام الخليفة كان هو السبب الذي جعله يقرّر الهروب إلى بلاد الروم[39].

وهناك حالات أخرى موثّقة لأفراد فرّوا إلى بلاد الروم بدافع التخلّص من أسيادهم المسلمين والانعتاق من حالة العبودية التي كانوا يعيشونها في بلاد الإسلام ونتحدث هنا بشكل خاص عن "البريدي" مولى أم البنين وإن كانت المصادر حفظت لنا اسم مثال واحد فإنّه على الأرجح يمكن أن يمثّل نموذجا عن عشرات أو مئات الحالات المشابهة.

أمّا عن الجانب البيزنطي فلا نملك بين أيدينا سوى المثال المتعلّق بالقائد البيزنطي الذي تذكره المصادر العربية باسم "بقناطر" الذي لجأ إلى بلاد الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان واستقرّ به المقام في مدينة طرابلس الساحلية، ولا تسعفنا المصادر بأي شيء فيما يخص ظروف وخلفية انتقاله إلى بلاد الشام إلّا إشارة عابرة عن ارتكابه لتجاوزات ببلاده "لحدث كان منه بالروم"[40]، دون أن تحدّد طبيعة ودرجة خطورتها للأسف، وبالتالي يمكن تخمين الدوافع التي جعلته يقرّر اللجوء إلى المسلمين، والتي تتمثّل في خوفه من انتقام الإمبراطور والعقوبة التي كانت سيسلطها عليه.

ومن الدوافع الشخصية التي كانت عاملا مؤثرا في حركة اللجوء والهجرة أيضا نجد المكاسب المادية، حيث كانت الجماعات والأفراد تنتقل بين الطرفين استجابة للإغراءات والامتيازات كما في حالة السلاف سنة 692م (73هـ) كما سنشرح لاحقا، وأيضا حالة كالينيكوس إذ أنّ قيام هذا الأخير بعرض اختراعه (النار الإغريقية) على معاوية بن أبي سفيان قبل الالتجاء إلى البيزنطيين ينفي فرضية الدوافع السياسية أو الدينية حيث أنّه لم يتحرّج أبدا من عرض خدمته على الطرفين ما يشير إلى دوافع مادية قويّة كانت وراء تصرفاته وما يدعم هذا الطرح أنّ كالينيكوس لم يتصل بالروم إلّا بعد أن رفض معاوية بن أبي سفيان عرضه.

الدوافع السياسية:

كان الاضطهاد والحياة القسرية أو التمرد وإعلان الثورة على السلطة، أو الطموحات السياسية، تدفع أصحابها إلى اللجوء للطرف الآخر من أجل توفير الحماية أو طلب المساعدة في الصراعات الداخلية، وبعض هذه العناصر تتوفّر في حالة "جناديوس" قائد أرخونية إفريقيا مثلا الذي كان يتمتّع بمركز مرموق في الهيكل الإداري والعسكري للإمبراطورية ومسؤول عن منطقة واسعة تشمل كلّ ممتلكات الإمبراطورية في شمال

إفريقيا، والذي تعرّض لمؤامرة أطاحت به من منصبه، لكنّ طموحه السياسي ورغبته في استرجاع مركزه أفضى به إلى اللجوء إلى العرب والتحالف معهم من أجل غزو المنطقة التي كانت تحت إشرافه، وفي حين لا نعلم بالتحديد فحوى الاتفاق الذي جرى بين الطرفين والدور الذي أُسند للقائد البيزنطي في المشروع المشترك بينهما، إلّا أنّ انضمامه للجيش الإسلامي الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان يؤكّد على وجود مكاسب سياسية محتملة لهذا القائد البيزنطي ضمن هذا التحالف، ربما يقضي بإعادة تنصيبه حاكما كما كان من قبل مقابل الخضوع للمسلمين وأداء الجزية في حالة الاستفادة من خدماته وعلاقاته في تسهيل السيطرة على الأرخونية التي كان يديرها.

وفيما يتعلق بالدوافع الكامنة وراء عمليات التحاق السلاف بالمسلمين وانتقالهم إلى داخل حدود الخلافة على مرّتين فيمكن ربطها بطريقة معاملة بيزنطة لهم وسياستها اتجاههم، حيث كانت تجمع الطرفين عداوة طبيعية منذ بداية تسربهم داخل حدود الإمبراطورية منتصف القرن الخامس واجتياحهم منطقة البلقان وفرضهم الحصار لاحقا على القسطنطينية بالتعاون مع الأفار سنة 626م (4-5هـ)[41] ما استدعى قيام الأباطرة بحملات عسكرية عديدة ضدّهم، كلّما كانت الظروف مواتية، من أجل إخضاعهم لسلطة الإمبراطورية، وهذه الحملات خاصة في عهد قنسطانز الثاني Constans II وجستنيان الثاني Justinian II انتهت بأسر عدد كبير من هؤلاء السلاف وإجبارهم على الانتقال من مراكزهم في البلقان وتوطينهم ضدّ إرادتهم في مناطق متفرّقة داخل آسيا الصغرى[42] ثمّ تجنيدهم ضمن الجيش البيزنطي لتعزيز القدرات الدفاعية لأقاليم الإمبراطورية في الأناضول في مواجهة هجمات المسلمين المتكرّرة، حيث ساهم الاضطهاد وعمليّات الترحيل القسري هذه في ترسيخ مشاعر الكراهية عند السلاف ضدّ الإمبراطورية البيزنطية ما كان سببا في انتقالهم إلى المسلمين - أعدائها اللدودين - في أوّل فرصة أتيحت لهم للاتصال بهم، كما لا نُغفل الدوافع المادية أيضا على الأقل فيما يخص الدفعة الثانية من السلاف والأكثر عددا التي استوطنت مناطق الثغور الشامية سنة 692م (73هـ)[43] إذ يبدو أنّ الإغراءات التي قدّمها محمد بن مروان لنبولوس قائد فرقة السلاف في الجيش البيزنطي قد ساهمت بشكل كبير في تغيير ولاءه لصالح المسلمين والانتقال إلى صفوفهم، حيث يذكر المؤرّخ البيزنطي ثيوفانس أنّ قائد جيش المسلمين في معركة سيباستوبوليس اتصل بنبولوس لاستمالته وأرسل إليه كيسا مملوء بالقطع الذهبية مع وعود كثيرة حتّى أقنعه بالانضمام إليه والتخلّي عن الإمبراطور[44].

الدوافع الدينية:

كان للدوافع الدينية تأثير قوي بدورها في تحفيز عمليّات اللجوء والهجرة، حيث كان الاضطهاد وعدم التسامح الديني والشعور بالحميّة للعقيدة من الأسباب الأساسية التي كانت تدفع الأفراد والجماعات إلى الانتقال عبر الحدود من أجل إيجاد بيئة أكثر ملائمة وانفتاحا.

لقد كانت الحرب بين المسلمين والروم التي اتخذت الطابع الديني تثير مشاعر الرعايا المسيحيين داخل الخلافة وتدفع بعضهم للوقوف بجانب البيزنطيين تحت تأثير الروابط الدينية، وهذا ما نسجّله في حالة الرجلين من طرابلس الذين استفزّتهما عمليّات التحضير الكبيرة التي كان يقوم بها معاوية ابن أبي سفيان في المدينة من أجل غزو القسطنطينية فقاما بإحراق التجهيزات، وتشير المصادر هنا بشكل مباشر وواضح لا لبس فيه أنّ ما قاما به كان بدافع الحميّة الدينية والانحياز للمسيحية رغم أنّهما كانا في خدمة المسلمين[45]، ونجد مثل هذه الوقائع تتكرّر من جديد في حادثة التحاق البحارة المصريين (الذين من المؤكّد أنهم من الأقباط) ضمن الأسطول الإسلامي المحاصر للقسطنطينية أواخر القرن الأول هجري بالجانب البيزنطي[46]، وإن كانت المصادر لا تشير تصريحا للأسباب التي دفعت المصريين إلى القيام بفعلتهم إلّا أنّ انتماء البحارة إلى المسيحية[47] والتضامن مع بني عقيدتهم يبقى الدافع القوي والأكثر موضوعية الذي يمكن أن يفسّر قرارهم

بالمخاطرة وترك المسلمين من أجل مساعدة البيزنطيين في تلك المرحلة الحساسة من ذروة المواجهة بين الطرفين، ويعقّب بيوري Bury على ذلك بالقول أنّ الغريزة الطبيعية لهؤلاء المصريين الأقباط هي التي قادتهم للانحياز إلى الجانب الصحيح[48] في إشارة إلى العقيدة المسيحية.

في المقابل نجد أنّ الكثير من رعايا الإمبراطورية المسيحيين قد لجأوا إلى المسلمين للتخلّص من الاضطهاد الديني الذي كانوا يعانون منه من طرف الأباطرة والكنيسة على حد سواء، والمثال الأبرز عن ذلك يتعلّق بالأرمن الذين طلبوا اللجوء إلى دولة الخلافة بعد طردهم من طرف الإمبراطور فيليبيكوس أين تمّ استقبالهم من طرف المسلمين وتوطينهم في ملطية وأرمينية الرابعة[49]، والسبب وراء لجوء الأرمن إلى الثغور الإسلامية راجع أساسا إلى الضغوطات التي تعرّضوا لها من طرف الإمبراطور الذي ينحدر هو نفسه من أصول أرمينية حيث أراد أن يجبر بني جلدته من رعايا الإمبراطورية على التخلي عن مذهبهم واعتناق المذهب الرسمي للدولة، الشيء الذي رفضه وقاومه العديد منهم[50]، حتّى أنّ المؤرخ السرياني ميخائيل وهو أيضا رجل دين استنكر سياسة بيزنطة تجاه الأرمن النابع حسب رأيه من كراهيتها لأصحاب العقيدة الصحيحة (الأرثوذكس Orthodoxes)[51]، أمّا عن اختيار الأرمن الاحتماء بالمسلمين تحديدا فهذا راجع إلى أنّهم كانوا يرونهم أكثر تسامحا مقارنة بالبيزنطيين[52].

وقد تعرّض اليهود بدورهم لنفس المعاملة من طرف الإمبراطور ليو الايسوري الذي أراد إجبارهم على اعتناق المسيحية ضدّ إرادتهم ما دفع بالعديد منهم ممّن فضّل البقاء على ديانته إلى الهروب واللجوء إلى الدولة الإسلامية[53].

بجانب كلّ الدوافع السابقة نسجّل في نهاية هذا العنصر نقطة ذات أهمية معتبرة تتمثّل في تأثير الكوارث الطبيعية على حركة النزوح والهجرة بين الطرفين والمعلومات المتوفرة لدينا في المصادر عن هذه الظاهرة ترجع لسنة 687م (67-68هـ) التي عرفت حركة هجرة واسعة من الشام نحو بلاد الروم بسبب المجاعة التي ضربت المنطقة[54]، دون تحديد لأسبابها، ونتصور منطقيا أن هؤلاء النازحين كانوا من المسيحيين.

وضعية اللاجئين والمهاجرين في المجتمعات الجديدة:

إنّ عمليات انتقال واستقرار السكان بين الدولتين كان يرافقها عمليّات إدماج واستيعاب للوافدين الجدد في محيطهم الجديد اجتماعيا واقتصاديا، من خلال تقديم التسهيلات لهم ومنحهم بعض الامتيازات والمساعدات، على أنّ هذه السياسة كان يرافقها أيضا محاولة استغلال إمكانيات وطاقات العناصر الجديدة من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية لخدمة مصالح الدولة المستقبلة.

كان تحوّل أو تحويل العناصر الوافدة إلى ديانة الدولة المستقبلة من أهم آليات الإدماج المطبّقة، وتبدو هذه الاستراتيجية أكثر وضوحا في السياسة البيزنطية بشكل خاص حيث كان البيزنطيون يقومون بإخضاع المسلمين الفارين إليهم إلى تأثيرات وإغراءات من أجل تحويلهم إلى المسيحية[55] دون أن يصل الأمر إلى حدّ الإكراه، لكن يبدو أنّ حتّى التحوّل إلى المسيحية لم يكن كافيا بالنسبة للّاجئين "المسلمين" حيث كان الشعور المعادي للعرب في بيزنطة يمثّل حاجزا نفسيا يحول دون إدماج كامل لهم[56]، بالمقابل لا نسجّل أيّ محاولات من الدولة الإسلامية تستهدف إجبار أو تحويل اللاجئين البيزنطيين عندها إلى الإسلام لكن مع ذلك نلاحظ تحوّل الكثير منهم عن المسيحية بمبادرات فردية ودوافع شخصية على الأرجح.

إنّ استقبال الوافدين الجدد كان يتطلّب بالإضافة إلى منحهم مناطق استقرار خاصة بهم لتوطينهم فيها، مرافقة اقتصادية واجتماعية أيضا من طرف الدولة المستقبلة، فالخلافة مثلا اتبعت نهج توطين القادمين إليها من الجانب البيزنطي في مناطق الثغور، حيث تمّ استقبال الأرمن مثلا في ملطية ونواحيها وأيضا في أرمينية الرابعة[57]، وتمّ توزيع السلاف على طول المنطقة بين حماة وأنطاكية والمصيصة، حيث تمّ توطين الدفعة

الأولى منهم في Seleukobolos بمنطقة أفامية Apameia شـــمال غرب حماة في ســـوريا[58]، في حين تمّ انزال الدفعة الثانية الأكثر عددا في كل من أنطاكية وقورس[59] وهذا ما تؤكّده الأخبار في المصـادر الإسـلامية أيضـا حيث نجد لهم أثرا ضـمن الأحداث التي ترويها لاحقا في هذا الفضـاء الجغرافي (أنطاكية)[60] كما نعرف أيضـا أنّه تمّ نقل قسـم منهم على الأقل إلى المصـيصـة على يد مروان بن محمد بعدما قام بتوسـعة المدينة في أواخر العقد الثالث من القرن الثاني هجري/القرن الثامن ميلادي[61].

نتصـــوّر أنّ هؤلاء الوافدين، بـالتمـاشـــي مع عمليـة توطينهم، قد تمّ منحهم أراض زراعية في مناطق اسـتقرارهم لتنشـيط هذا القطاع وأيضـا لتأمين مصـدر دخل لهم، ونعرف على الأقل أنّ آخر دفعة من السـلاف كانوا فعلا يشـتغلون بالزراعة عندما كانوا مسـتقرّين في غرب آسـيا الصـغرى عند منطقة كيزيكوس[62]، وفي حين لا نملك معلومـات مؤكّـدة عن دور الأرمن في المنظومـة الإداريـة والاجتمـاعيـة لمنطقـة الثغور، تبـدو الصورة أكثر وضوحا بالنسبة للسلاف الذين يظهر أنّهم كانوا أكثر توفيقا في الاندماج مع محيطهم الجديد حيث انخرطوا في خدمة الخلافة والبعض منهم تقلّد مناصـب قيادية في منطقة الثغور ونجد منهم من اكتسـب مكانة معتبرة وأصبح من خاصـة كبار رجال الدولة الأموية مثل حالة "سلساق" وهو فارس من مدينة أنطاكية تقدّمه المصادر على أنّه قائد الصقالبة في جيش مروان بن محمد أواخر عهد الدولة الأموية[63]، ويبدو أنّ البعض منهم أو من الأجيال التي أعقبتهم قد تحوّلوا إلى الإسلام حيث نسـجّل في سـنوات خلافة مروان بن محمد رجلين من السـلاف كانا من قادة الثغور يحملان أسـماء عربية أحدهما يعرف باسـم "سـلمان" والآخر باسـم "زياد الصقلبي"[64]، وارتباط هؤلاء السلاف بمروان بن محمد يرجّح أنّهم من أبناء عناصر الدفعة الأخيرة التي دخلت بلاد الإسلام مع أبيه محمد بن مروان من قبل، وأنّهم كانوا من مواليه عبر أبيه بالتحالف والموالاة.

وبالإضـافة إلى ذلك عملت الدولة الإسـلامية على الاسـتفادة من خدمات العناصـر البيزنطية السـابقة في الميدان العسـكري أيضـا حيث تمّ توظيفهم لتأمين الحدود وحتّى المشـاركة في الغزو، فالأرمن الذين أصـبحوا أعوانا للمسـلمين وخصـوما للإمبراطورية البيزنطية بعد طردهم من طرف الإمبراطور فيليبيكوس[65] شـاركوا بجانب المسلمين في حملاتهم على آسيا الصـغرى[66]، والصـقالبة (السـلاف) بدورهم كانوا يشـاركون في تأمين الثغور[67] وانضـمّوا أيضـا إلى قوّات المسلمين المكلّفة بإنجاز حملات الصـوائف والشـواتي مباشرة بعد انتقالهم للاستيطان داخل حدود الخلافة[68]، واتجاه المسلمين لتوظيف هذه العناصر في الميدان العسكري راجع لقدراتهم وكفاءتهم، فالسـلاف (الصـقالبة) كما جاء في المصـادر كانوا يشـكّلون فرقة خاصـة بهم ضمن الجيش البيزنطي في آسيا الصـغرى منذ عهد جستنيان الثاني تحت اسم "الشـعب المختار"[69]، ومقابل هذا الدور العسكري الذي اضـطلع به هؤلاء السـلاف ضـمن المنظومة العسـكرية للخلافة والخدمات الكبيرة التي قدّموها للمسـلمين فإنّهم على الأرجح قد أعفوا منطقيا من دفع الجزيـة، بـل وربّمـا يكونون قـد اســـتفـادوا أيضـــا من العطـاء نظير مجهوداتهم، وما يمكن أن يدعم هذا الطرح أنّ ميخائيل الســـرياني يذكر في هذا الســـياق أنّ المســـلمين كانوا يشركونهم في الجزية والمؤن (الأرزاق)[70].

أمّا فيما يتعلّق بالإمبراطورية البيزنطية فقد كانت تحسن أيضـا استقبال المهاجرين واللاجئين من الدولة الإسـلامية إليها وتعمل على استمالتهم من خلال منحهم الامتيازات، فالمصادر تذكر مثلا أنّ الإمبراطور هرقل اســـتقبل بحفاوة كبيرة جبلـة بن الأيهم عندمـا التحق بـه في القســـطنطينية وأنّه أقطعه أراض ومنازل ومنحه الأموال وقرّبه إليه فكان يحضـر مجلسـه فيتسامر معه ويحدّثه، وتؤكّد مرّة أخرى على المكانة التي كان يحظى بها في بلاد الروم ورغد العيش الذي كان عليه عندما تسـتعرض تفاصـيل لقاء جمعه بمبعوث الخليفة عمر بن الخطاب إلى الإمبراطور، لكنّها مع ذلك تحاول إبراز حالة الحزن العميق التي كان يعيشـــها وندمه على قراره ترك الشـــام والتنصّـــر من خلال أبيات من الشـــعر كانت تغنيها له جواريه[71]، وحتّى الجحّاف الذي بقي على

إسلامه ولم يتنصّر فقد حظي بمعاملة جيّدة من البيزنطيين حيث لم يتم تضييق مكان إقامته وسُمح له بالتنقل بحريّة بين المدن البيزنطية وعرض عليه الإمبراطور الإقامة عنده تحت رعايته مع امتيازات مادية كبيرة مقابل اعتناق المسيحية[72].

بدورها عملت الإمبراطورية البيزنطة على الاستفادة من القدرات العسكرية للعناصر التي استقبلتها من أرض الخلافة حيث تسجّل المصادر الإسلامية مواجهات بين قوات الصوائف ومقاتلين من أصل عربي (المستعربة) في مناطق متفرّقة من آسيا الصغرى حتّى أواخر القرن الأول هجري[73]، ومن المحتمل جدا أنّه كان من بينهم بعض الذين ينحدرون من العرب الذين فرّوا مع جبلة بن الأيهم، وهذه الإشارات تُقيم دليلا على اندماج هؤلاء المهاجرين العرب في المنظومة العسكرية للإمبراطورية البيزنطية واستفادة هذه الأخيرة منهم في مواجهة خصومها المسلمين، ونعلم أيضا أنّ الجحّاف بن حكيم اشترك مع القوّات البيزنطية في صد حملة للمسلمين على بلاد الروم[74] وكذلك انخرط "البريدي" ضمن القوّات البيزنطية المتمركزة في بافلاجونيا واشترك بدوره في معركة ضدّ المسلمين الذين كانوا يقومون بحملة الصائفة في تلك المنطقة سنة 115هـ (733م) واستطاع أن يلحق بهم خسائر معتبرة حيث قتل خمسة منهم في مبارزات فردية واحدا تلو الآخر[75] كما مرّ علينا سابقا، ولا نملك أيّ إشارات عن وجود عمليّات تجنيد بالإكراه أو محاولة إجبار اللاجئين من بلاد الخلافة على الانخراط في العمل العسكري ضمن الجيش البيزنطي، في حين يمكن ببساطة تلمّس الدوافع الذاتية الانتقامية التي أفضت بالجحّاف والبريدي إلى الانخراط أو التعاون مع القوّات البيزنطية في مواجهة المسلمين.

مصير اللاجئين:

يبدو من المثير أنّنا لا نسّجل أيّ محاولة من طرف الدولتين لاسترجاع رعاياها الذين لجأوا عند الطرف الآخر سواء أولئك الذين ارتكبوا جرائم وفرّوا لتجّنب العقاب أو خاصة الذين كانوا يشغلون مناصب مسؤولية في الدولة ويمكن لهم أن يلحقوا الضرر ببلادهم في حالة ما قرّروا التعاون مع خصومها، رغم أنّ كلا الدولتين تمتلكان سوابق في هذا الشأن مع غيرهما من الأمم الأخرى، حيث أرسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي مثلا مبعوثا إلى ملك سجستان الذي تدعوه المصادر العربية باسم "رُتبيل" لاسترجاع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي لجأ إليه بعد فشل تمرّده ضد الخليفة[76]، وكان ذلك سنة 85هـ (704م) حسب رواية الطبري[77]، وعلى الجانب البيزنطي نسجّل قيام الإمبراطور المغتصب للعرش أبسيماروس Apsimaros بالاتصال بخاقان الخزر سنة 704م (85هـ) لاسترجاع الإمبراطور السابق جستنيان الثاني Justinian II بعدما بلغته الأخبار بتحرّك هذا الأخير لاسترجاع حكمه، وقد وظّف الامبراطور أسلوب الإغراء من أجل إقناع خاقان الخزر حيث وعده بهدايا كثيرة في حالة الاستجابة لطلبه بتسليم جستنيان الثاني (كان حينها لاجئا عند الخاقان وتربطهما علاقة مصاهرة)[78]. ولا يمكن تفسير غياب مثل هذه المبادرات بين المسلمين والروم إلّا بإدراكهما استحالة الاستجابة إلى طلباتهما بحكم العداوة الشديدة التي كانت تجمعهما.

لكن حتّى في ظلّ غياب مبادرات ديبلوماسية بين الجهات الرسمية للدولتين لاسترجاع رعاياها النازحين والفارين، نستطيع أن نؤكّد مع ذلك وجود اتصالات في بعض الحالات بين اللاجئين والمهاجرين مع السلطات القائمة في بلادهم من أجل بحث فرص السماح لهم بالعودة مقابل تعهدات بالعفو عن تجاوزاتهم مع ضمان سلامتهم الشخصية، وفي حين كانت بعض هذه المحاولات تُلاقي النجاح وتنتهي بعودة هؤلاء اللاجئين، فإنّ بعضها الآخر كان مصيره الفشل، ما يجعل من حالة الانتقال وضع نهائي بالنسبة لهم، ولا يهمّنا هنا في هذا العنصر دراسة وضعيات الهجرة التي كانت تفتقد لحوافز العودة وقطعت كلّ الروابط بأوطانها السابقة، وإنّما سنركّز على إظهار نماذج التواصل التي كانت تبحث شروط العودة مع إبراز الحالات التي كان يصل فيها اللاجئون إلى تسويات مرضية مع السلطة القائمة في دولتهم بشكل خاص.

كانت هذه الاتصالات بين اللاجئين والسلطة القائمة في بلادهم تأتي بمبادرة من أحد الطرفين حسب الحالة، فعن الجانب الإسلامي مثلا تسجّل المصادر محاولة دولة الخلافة استرجاع رعاياها الذين لجئوا إلى بلاد الروم في أكبر هجرة جماعية حفظتها الأخبار ونعني هنا حالة جبلة بن الأيهم وأنصاره، حيث عمل عمر بن الخطاب سنة 21هـ (642م) بعد سنوات قليلة فقط من الحادثة على ربط الاتصال به من خلال مبعوث (عمير بن سعد الأنصاري) حمل له عرض الخليفة القاضي بالعودة إلى بلاد الإسلام مع إعطاءه وضعا خاصا يبقى فيه على نصرانيته مقابل دفع الصدقة بدل الجزية، لكن جبلة رفض العرض حينها وفضّل البقاء في بلاد الروم[79]، وفي روايات أخرى أنّ دعوة جبلة للعودة جاءت بمبادرة فردية من مبعوث للخليفة الذي التقى به في القسطنطينية فاستضافه عنده حين كان في مهمة ديبلوماسية إلى الإمبراطور البيزنطي[80]، ويبدو أنّ قرب عهده بالحادثة التي كانت وراء قراره بالهجرة، بالإضافة إلى تأثير امتيازات الحياة الجديدة التي كان يعيشها تحت رعاية الإمبراطور البيزنطي شخصيا، هما العاملين المؤثّرين الذين كانا وراء رفضه عرض مبعوث الخليفة للرجوع إلى بلاد الإسلام. ولاحقا بعد قيام الدولة الأموية أبدى جبلة استعدادا هذه المرّة للرجوع إلى الشام حيث عبّر عن رغبته هذه في لقاء جمعه مع مبعوث الخليفة مقابل بعض الشروط والامتيازات (المادية أساسا) التي طلب توفيرها له ولمرافقيه، أين بادر في هذا اللقاء إلى طرح العرض على الخليفة عبر هذا المبعوث، وقد تحمّس معاوية بن أبي سفيان كثيرا للأمر وأرسل إليه بالموافقة على كلّ طلباته وشروطه لكنّ جبلة كان قد مات قبل وصول رد الخليفة عليه[81] فلم يكتب لهذه المحاولة النجاح.

أمّا الجحّاف بن حكيم فقد عمد إلى الاتصال بزعماء وسادة القبائل القيسية المقربين من عبد الملك بن مروان من أجل التوسّط له عند الخليفة للعفو عنه، وقد استطاع أخيرا الحصول على إذن بالعودة بعدما منحه عبد الملك الأمان مقابل تعهد ملزِم بدفع ديّات القتلى من بني تغلب، وقد كان المبلغ المستحق كبيرا جدا فاضطرّ الجحّاف إلى طلب المساعدة من قومه وتوجّه في سبيل ذلك حتّى إلى أمير العراق الحجاج بن يوسف يسأله العون فمنحه مائة ألف درهم[82]. وقد استطاع الجحّاف تسوية وضعيته بعد تلبية شروط الخليفة، وتذكر المصادر بعدها أنه تاب واستقام وندم على ما قام به.

وعن الجانب البيزنطي لا نسجّل إلّا حالة واحدة حفظتها لنا المصادر عن عودة اللاجئين إلى بلادهم ويتعلّق الأمر بالقائد الذي تقدمه الروايات العربية تحت اسم "بقناطر" وكان مستقرّا بطرابلس، ويبدو أنّ الرغبة في العودة إلى بلاده قد راودته بعد فترة قصيرة من التحاقه بالشام فاستغلّ انسحاب الحامية الإسلامية من المدينة فقام بالسيطرة عليها وأسر من بها ثم ذهب بهم إلى بلاده[83] وليس هناك أيّ دليل على وجود اتصالات مسبقة جمعته بالإمبراطور أو حاشيته قبل الإقدام على فعلته التي يبدو أنّه قد خطّط للقيام بها بالتزامن مع اتخاذه قرار الرجوع إلى بيزنطة حيث كان بحاجة إلى خلق معطيات جديدة تسمح له بتعزيز وتقوية موقفه أمام سلطات بلده حتّى يكسب ثقتها من جديد ويدفعها لتغيير موقفها منه من خلال تقديم خيانته للمسلمين كدليل على ولاءه للإمبراطورية ما سيسهّل عليه كسب تعاطف الإمبراطور وعفوه.

خاتمة:

رغم حالة التنافس والصراع بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية إلّا أن ذلك لم يمنع من إقامة نوع من التفاعل الاجتماعي بين الطرفين من خلال عمليات الهجرة واللجوء الفردية والجماعية بين الدولتين اللتين كانتا تمثّلان ملاذا آمنا للعناصر التي لم تعد قادرة أو راغبة في العيش بموطنها الأصلي، وقد سجّلت المصادر عشرات حالات الانتقال عبر الحدود بين الطرفين منذ تأسيس الدولة الإسلامية حتّى سقوط الخلافة الأموية منتصف القرن الثامن ميلادي/القرن الثاني هجري، وكانت دوافع هذه الظاهرة متنوّعة وفي الكثير من الحالات متداخلة ومثّلت العوامل الشخصية والسياسية والدينية بشكل عام العناصر الأكثر تأثيرا فيها، ورغم

العداوة التي جمعت دولة الخلافة بالإمبراطورية البيزنطية إلّا أنّهما لم تمتنعان عن استقبال هذه الجماعات اللاجئة والمهاجرة، كما كانتا تعاملان هؤلاء الوافدين من عند الخصم بطريقة جيّدة واحترام كبير، وتعملان على تسهيل عملية إدماج العناصر الجديدة في الحياة العامة والمجتمع، مع الاتجاه لاستغلال قدراتهم الاقتصادية والعسكرية لخدمة أهدافهما، وفي حين كانت الكثير من عمليّات الانتقال إلى الطرف الآخر تنتهي باستقرار دائم في البلد المستقبل، كان بعض اللاجئين من الطرفين يوفّقون في العودة إلى وطنهم الأصلي من جديد بعد الحصول على العفو وإبرام تسويات مرضية مع السلطات القائمة فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- أحمد بن عذاري المراكشي (ت 712هـ): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2013.
2- أحمد بن يحي البلاذري (ت 279هـ): أنساب الأشراف، تحقيق وتقديم سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1996.
3- أحمد بن يحي البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1992.
4- خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ): تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط 2، 1985.
5- شهاب الدين ياقوت الحموي (ت 626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
6- عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992.
7- عز الدين بن الأثير (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987.
8- علي بن الحسن بن عساكر (571هـ): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.
9- علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ): كتاب الأغاني، تحقيق احسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط 3، 2008.
10- عماد الدين بن كثير (ت 774هـ): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط 1، 1998.
11- مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مطبعة بريل، 1869.
12- محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 2.

المراجع:

13- إبراهيم بيضون: تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.
14- أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط 500-1100 م، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
15- جون كلود شينيه: تاريخ بيزنطة، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2008.
16- عائشة سعيد شحاتة: الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) دراسة في التطورات والتغيرات، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1995.
17- علية عبد السميع الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003.
18- فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
19- هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1979.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1- Abdelaziz Ramadan: Arab Apostates in Byzantium: evidence from arabic sources, Institute of Historical Research, Section of Byzantin Research, National Hellinic Research Foundation, Volume 29, Athens, 2019.
2- Agapius de Menbidj: Histoire Universelle, Edite et traduite en français par Alexandre Vasiliev, Paris 1909.
3- George Ostrogorsky: History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussey, Basil Blackwell, Oxford, 1968.
4- Hélène Ahrweiler: L'Asie Mineure et les Invasions Arabes (VII^{e}-IX^{e} siècles).
5- J. B. Bury: History of Later Roman Empire, Macmillan and Co, London, 1889.
6- J. Laurent: L'Arménie entre Byzance et l'Islam depuis la conquête Arabe jusqu'en 886, Fontemoing et Cie, Paris, 1919.
7- John Haldon: Warfare, State and Society in the Byzantin world 565-1204, UCL Press, London, 1999.
8- Jonathan Shepard: The Cambridge History of the Byzantine Empire c. 500-1492, Cambridge University Press, New York, 2008.
9- J. R. Partington: A History of Greek Fire and Gunpowder, The johns Hopkins University Press, Baltimore, 1999.
10- Michel le syrien: Chronique de Michel le Syrien, Traduite par J. B. Chabot, Paris 1901.
11- Peter Charanis: Studies on the Demography of the Byzantine Empire, Variorum reprints, London 1972.
12- Theophanes: The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Clarendon Press. Oxford. 1997.
13- Timothy Venning: A Chronology of the Bizantine Empire, Palgrave Macmillan, New York, 2006.
14- Warren Treadgold: A History of Byzantine State and Society, Stanford University Press, California, 1997.

الهوامش:

[1]- هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1979، ص 61.

[2]- Theophanes: The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Clarendon Press. Oxford. 1997. p 487.

[3]- Peter Charanis: Studies on the Demography of the Byzantine Empire, Variorum reprints, London 1972, p 143.

[4]- Theophanes: Op cit, p 511 / Michel le Syrien: Chronique de Michel le Syrien, Traduite par J. B. Chabot, Paris 1901, Partie 2, p 470.

[5]- عائشة سعيد شحاتة: الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)، دراسة في التطورات والتغيرات، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1995، ص 187.

Warren Treadgold: A History of Byzantine State and Society, Stanford University Press, California, 1997, p 333 / Peter Charanis: Op cit, p 143.

[6]- Theophanes: Op cit, p 532 / Agapius de Menbidj: Histoire Universelle, Edite et traduite en français par Alexandre Vasiliev, Paris 1909, Partie 2, p 240 / Michel le Syrien: Op cit, Tome 2, p 482.

ملطية: من أكبر مدن الثغور متصلة ببلاد الروم فتحت لأول مرة في عهد عمر بن الخطاب على يد حبيب بن مسلمة الفهري، تتميز بموقع مهم باعتبارها ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الحيوية والأنهار وكانت من أهم محطات عبور جيوش المسلمين إلى آسيا الصغرى. علية عبد السميع الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص 111-112.

[7]- أحمد بن يحي البلاذري (ت 279هـ): البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1992، ص 220.

طرندة: مدينة من بلاد الروم تقع على ثلاث مراحل من ملطية. شهاب الدين ياقوت الحموي (ت 626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، م 4، ص 32.

[8]- Theophanes: Op cit, p 554.

[9]- Michel le Syrien: Op cit, Tome 2, p 490.

[10]- Theophanes: Op cit, p 554-555.

[11]- أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط 500-1100م، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ص 93-94.

Timothy Venning: Op cit, p 175.

[12]- أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت 712هـ): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2013، ج 1، ص 40-41-42.

[13] - Timothy Venning: Op cit, p 175.

[14]- علي بن الحسن بن عساكر (ت 571هـ): تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج 21، ص 356.

[15]- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 148-149.

[16]- البلاذري: فتوح البدان، المصدر نفسه، ص 149. ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 21، ص 356-357.

[17]- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر نفسه، ص 159-160.

يذكر كل من الأصفهاني (الأغاني، ج 15، ص 112)، وابن عساكر (تاريخ دمشق، ج 72، ص 33) أنّ عدد من كان مع جبلة عند التحاقه بأرض الروم خمسمائة رجل من قومه فقط.

[18]- عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ج 5، ص 256-258 / ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر نفسه، ج 72، ص 33 / عماد الدين بن كثير (ت 774هـ): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط 1، 1998، ج 11، ص 263-266.

[19]- البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق وتقديم سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1996، ج 10، ص 250-251 / ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 18، ص 52.

[20]- Timothy Venning: A Chronology of the Bizantine Empire, Palgrave Macmillan, New York, 2006, p 165.

[21]- علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ): كتاب الأغاني، تحقيق احسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط 3، 2008، ج 6، ص 86 / ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 8، ص 387.

[22]- خليفة بن خياط العصفري (240هـ): تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة الرياض، ط 2، 1985، ص 311.

[23]- البلاذري: أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 7، ص 79-81 / ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 53.

طرابزندة (أطرابزندة): من المدن الرئيسية ببلاد الروم تشرف على بحر بنطس (الأسود)، تقع في منطقة تتميز بطبيعتها الجبلية الوعرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، م 1، ص 216.

كمخ: مدينة ببلاد الروم تقع على الفرات الغربي وهي جنوب أرزنجان على مسيرة يوم واحد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر نفسه، م 4، ص 479 / فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ج 1، ص 238.

قاليقلا: منطقة بأرمينية الرابعة، أهم مدنها أرزن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر نفسه، م 4، ص 299 / فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، المرجع نفسه، ج 1، ص 238.

[24]- مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مطبعة بريل، 1869، ج 3، ص 91.

[25]- Theophanes: Op cit, p 482 / Agapius: Op cit, Partie 2, p 223-224 / Michel le Syrien: Op cit, Tome 2, p 445.
[26]- Theophanes: Ibid, p 494 / Michel le Syrien: Ibid, p 455.
[27] - ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 74، ص 140.
[28]- J. R. Partington: A History of Greek Fire and Gunpowder, The johns Hopkins University Press, Baltimore, 1999, p 12.
[29]- Warren Treadgold: Op cit, p326 / J. B. Bury: History of Later Roman Empire,Macmillan and Co, London, 1889, Vol 2, p 310-311.
[30]- George Ostrogorsky: History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussey, Basil Blackwell, Oxford, 1968, p 124 / Timothy Venning: Op cit, p 178 / Jonathan Shepard: The Cambridge History of the Byzantine Empire c. 500-1492, Cambridge University Press, New York, 2008, p 233.
[31]- Theophanes: Op cit, p 546-547.
[32]- البلاذري: أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 9، ص 319.
[33]- البلاذري: أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج 9، ص 319.
[34]- ابن الجوزي: المنتظم، المصدر السابق، ج 5، ص 258. ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 32.
[35]- البلاذري: أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 10، ص 251.
[36]- ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 18، ص 50.
[37]- الأصفهاني: الأغاني، المصدر السابق، ج 6، ص 86.
[38]- إبراهيم بيضون: تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ص 180 وما بعدها.
[39]- ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 53.
[40]- ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر نفسه، ج 21، ص 356.
[41]- جون كلود شينيه: تاريخ بيزنطة، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2008، ص 51-52.
[42]- Peter Charanis: Op cit, p 143 / John Haldon: Op cit, p 241.
[43]- Michel le Syrien: Op cit, Partie 2, p 470.
[44]- Theophanes: Op cit, p 511.
[45]- Theophanes: Ibid, p 482 / Agapius: Op cit, Partie 2, p 223-224 / Michel le Syrien: Op cit Tome 2, p 445.
[46]- Theophanes: Op cit, p 546.
[47]- Bury: Op cit, Vol 2, p 403.
أرشيبالد لويس: القوى البحرية، المرجع السابق، ص 104.
[48]- Bury: Ibid, p 403
[49]- Michel le Syrien: Op cit, Tome 2, P 482
[50]- J. Laurent: L'Arménie entre Byzance et l'Islam depuis la conquête Arabe jusqu'en 886, Fontemoing et Cie, Paris, 1919, p 205.
[51]- Michel le Syrien: Op cit, Tome 2, p 482.
[52]- J. Laurent: Op cit, p 33.
[53]- Michel le Syrien: Op cit, Tome2, p 490.
[54]- Theophanes: Op cit, p 507.
[55] - ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 53.
[56]- Abdelaziz Ramadan: Arab Apostates in Byzantium: evidence from arabic sources, Institute of Historical Research, Section of Byzantin Research, National Hellinic Research Foundation, Volume 29, Athens, 2019, p 307.
[57]- Michel le Syrien: Op cit, Tome 2, p 482.
Theophanes: Op cit. P 487 [58] -
[59]- Miche le Syrien: Op cit, Tome 2, p 470.

[60]- محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ج 7، ص 324.
[61]- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 195.
[62]- عائشة سعيد شحاتة: الإمبراطورية البيزنطية، المرجع السابق، ص 187.
Warren Treadgold: Op cit, p 333 / Peter Charanis: Op cit, p 143.
[63]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج 7، ص 324.
[64]- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 176.
[65]- Michel le Syrien: Op cit, p 482.
[66]- Hélène Ahrweiler: L'Asie Mineure et les Invasions Arabes (VII^{e}-IX^{e} siècles), p 18.
[67]- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 176.
[68]- Theophanes: Op cit, p 513.
[69]- Theophanes: Op cit, p 511.
[70]- Michel le Syrien: Op cit, Partie 2, p 470.
[71]- الأصفهاني: الأغاني، المصدر السابق، ج 15، ص 113-114-115. ابن الجوزي: المنتظم، المصدر السابق، ج 5، ص 258-259-260. ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 33-34. ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج 11، ص 266.
[72]- ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر نفسه، ج 72، ص 53.
[73]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج 6، ص 436 / ابن الجوزي: المنتظم، المصدر السابق، ج 6، ص 288. عز الدين بن الأثير (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987، ج 4، ص 247.
[74]- ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 53.
[75]- مجهول: العيون والحدائق، المصدر السابق، ج 3، ص 91.
[76]- خليفة: تاريخ خليفة، المصدر السابق، ص 288.
[77]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج 6، ص 390.
[78]- Theophanes: Op cit, p 520.
[79]- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 159-160.
[80] - الأصفهاني: الأغاني، المصدر السابق، ج 15، ص 114. ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 72، ص 33. ابن الجوزي: المنتظم، المصدر السابق، ج 5، ص 258.
[81] - الأصفهاني: الأغاني، المصدر نفسه، ج 15، ص 116. ابن الجوزي: المنتظم، المصدر نفسه، ج 5، ص 260.
[82] - البلاذري: أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 7، ص 81. الأصفهاني: الأغاني، المصدر نفسه، ج 12، ص 145. يذكر الأصفهاني أن الحجاج منح الجحّاف نصف راتبه السنوي البالغ خمسمائة ألف درهم.
[83] - البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 149. ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 21، ص 256.